ليوناردو دافينشى

الرجل الـكامل

للدكتور أحمد موسى

— ٢ —

أما المرحلة الثانية من حياته فقد بدأت عند مااستدعاه الدوق لودوفيتشو سفورزا للتوجه سنة ١٤٨٣ إلى ميلانو . وهناك استمتع بأجمل أيام حياته ، لأن الدوق نظر اليه نظرة الرجل المؤثر الذى يقدر الفن ويجله ، نظرة الرجل الذى يعلم بأنه لامعنى للحياة بدون الفن ، فاذا كان الدوق غنياً ومقدراً للفن ، فهذا معناه أن ليوناردوقد وفق الى وجود الشخصية التى تعمل على تشجيعه ومعرفة قدره ، فعمل بكل قواه على إظهار مواهبه ، فكان معمارياً ومهندساً وعالما ومشجعا للأكاديمية كما كان نحاتاً ومصورا .

وله فى هذه المرحلة لوحات رائعة منها صورة الدوق وصورة لعائلته ، ولوحات لبعض رؤوس غاية فى القوة والجمال .

وأهم أعماله فى هذه المرحلة ، بل وفى حياته كلها صورته المعروفة « العشاء الأخير » والمحفوظة بدير القديسة ماريا فى ميلانو . صورها فى سنتين ، وهى للأسف فى حالة غير مرضية الآن ، ولكن لحسن الحظ أن منها جملة لوحات مقلدة متقنة ومعاصرة لها . وهذه اللوحة تمثل المسيح ، وقد توسط تلامذته الاثنى عشر مجتمعين حول مائدة بعضهم جالس والبعض الآخر واقف ، وأمامهم الخبز والاطباق وأكواب الشراب . قال المسيح لتلامذته : « إن أحدكم سيسلمنى ! » فما كان من تلاميذه إلا أن اتجه بعضهم إليه وبعضهم إلى بعض متسائلين مستفسرين ، متألمين خائفين ، تمثل الوجد على وجه كل منهم ، فبعضهم أشار بأصبعه ، والبعض أشار بيديه .

أنظر إلى ش ـ ٢ ـ وتأمل القوة الانشائية والاخراج العظيم ترى الوجوه الثلاثة عشرة مختلفة الوضع والتفاصيل والتكوين الكلى ، والحركة البادية والمعنى الذى يعبر عنه كل منهم فى منتهى الرقة والحسن .

العشاء الاخير ، بميلانو ـ سانتاماريا دى لاجراتسيا

أما التوازن البادى على مجموعهما الشكلى والوضعى فهو عظيم وأما اختلاف التكوين الجسمانى لكل منهم ، واختلاف الطريقة التى يجلس أو يشير بها،فهى رائعة ، لأن هذا الاختلاف لم يذهب بك إلا إلى منتهى حسن الانسجام وكمال الاندماج .

موناليزا ـ متحف اللوفر

أنظر إلى الأيدى ، وتأمل الأكف التى استطاع بها ليوناردو اخراج ست وعشرين يداً ، لاترى منها واحدة تشبه الأخرى ، أليس هذا منتهى ما يطمح اليه فنان ؟ لم يترك ليوناردو الحوائط دون تحلية ، ولم يفته أن يصور لك منظراً ظهرت بعض أجزائه من خلال الباب والشباكين فى مؤخر للصورة . فكأن هذه القطعة لم تخلد مجد ليوناردو فحسب ؛ بل هى لوحة من اللوحات الخالدة الفذة فى تاريخ الفن كله .

وبدات المرحلة الثالثة من مراحل حياته عند ما غادر ميلانو سنة ١٤٩٩ متنقلا حتى وصل البندقية (١٥٠٣ - ١٥٠٦) ثم فلورنسوا (١٥٠٦ - ١٥١٦) ثم غادرها إلى فرنسا لخدمة الملك فرانس الأول سنة ١٥١٦ وعاش فى قصر كلو حتى وفاته فى ٢ مايو سنة ١٥١٩ بعد بلوغه السابعة والستين .

وقد أنتج فى هذه المرحلة لوحات كثيرة أيضا ، منها لوحة القديسة أنا ، والقديسة مريا ، وعيسى ويوحنا بأكاديمية لندن ، وكلها برؤوس هائلة رائعة ، امتزج فيها الظل بالنور امتزاجا لا يستطيعه إلا ليوناردو . وبعض هذه الصور كان على الكرتون الذى خصصه لتصميم رسم لعمل الفسيفساء فى بيت البلدية بفلورنسا منها قطعة أسماها مذبحة الجيارى . وقد فقدت هذه الكارتونات ما عدا القطعة الوسطى منها التى مثلت المقاتلة على العلم ، وهذه القطعة ش ـ ٣ ـ قد نقلها الفنان روبنز (راجع الرسالة بتاريخ ٣ يناير سنة ١٩٣٧) عن الأصل وهى محفوظة باللوفر .

والناظر اليها يرى العنف والشدة يتمثلان فى كل جزء من أجزائها ، ولعلنا نستطيع أن نعرف أثر الفن الاغريقى فى ليوناردو وعند ما نتذكر تلك الصور التى شملها مقالنا عن منحوتات معبد بارتنون (اكروبوليس أثينا) .

وله لوحة هى أجمل ما صوره دون منازع ، ألا وهى « مونا ليزا » محفوظة باللوفر ، ولا يمكن مهما حاولنا الوصف أن نقدر جمال هذه القطعة ش ـ ٤ ـ دون مشاهدتها فى الأصل بألوانها الطبيعية الخلابة التى تمثل الجمال الايطالى فى أسمى مظهر له انظر إلى ابتسامتها الساحرة الخالدة التى تجذب إليها المشاهد الراغب فى الجمال النبيل .

صورة خطية لسيدة ـ جاليرى أوفيزى

وله غير ذلك لوحات فذة الى جانب لوحاته الخطية بالقلم الرصاص وهى ايضا من أروع مايمكن تصويره اطلاقا ، منها جزء محفوظ باللوفر وفينيسيا وميلانو .

احمد موسى